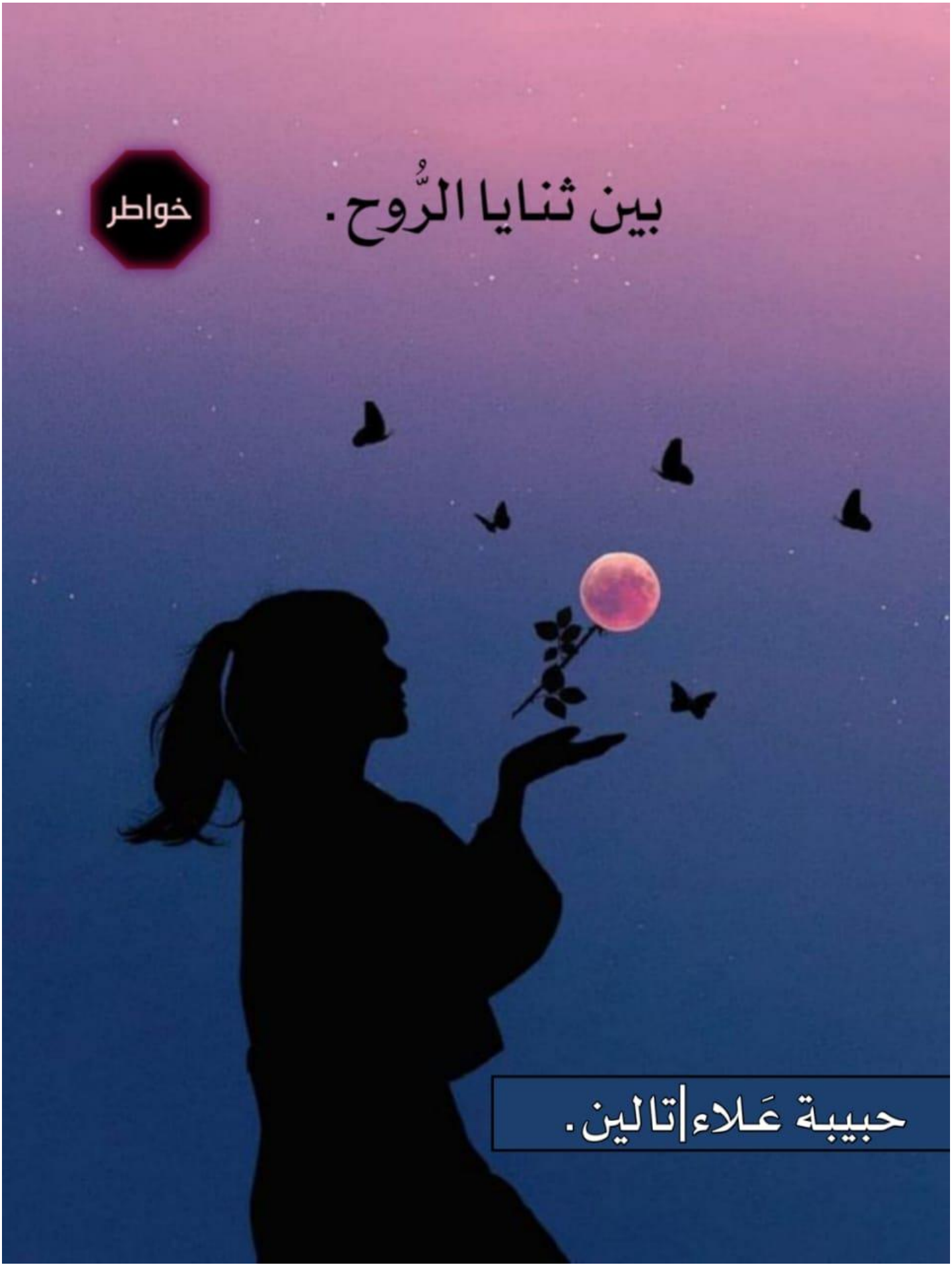
خواطر
بين ثنايا الرُّوح.
حبيبة عَلاء|تالين.

"أردت جمع خواطر كانت قد عرضت علىٰ ذهني، بعد أن كنت قد قيدتها في مواقف وأزمان مختلفة، وأغلبية نصوصي هنا خرجت جراء حوادث حدثت بالفعل، جمعتها هنا؛ عل أحدًا يلتمس فيها نفسه، أعترف أني لم أرتبها؛ لكي لا يمل القارئ، ففي كل خاطرة حادثة مختلفة، تعبر عن شيء مختلف، أتمنى لك قراءة ممتعة عزيزي القارئ".

' كتـاب بيـن ثنـايـا الـرُّوح '

لِـــ الكـاتـبة:
حـبـيبة عـلاء || تـالِـين ||

إهداء...

"لعائلتي، لكل مُحبي القراءة، لرفيقاتي حفظهن الله، لكل شخص له في القلب محبة واسمه محفور بين ثنايا الرُّوح ".

_شيء مِن جديد.

لا تخف من الظلال، فإنها تعني أن هناك ضوءًا يسطعُ في مكانٍ قريب، التفاؤل يمنحك هُدوء الأعصاب في أمسّ حاجتك إليه، لا تخف فلن تغرق سفينة الحياة في بحرِ التشاؤم طالما هناك مجدٌ اسمه التفاؤل، فالمتشائم يرىٰ الصعوبة في كل فرصة، والمتفائل يرىٰ الفرصة في كل صُعوبة ، فكن متفائل، السعادة لَيست حلمًا ولا وَهمًا ولا بأمر مُحال، بل هي تفاؤل وحُسن ظَن بالله، وصبر بغير استعجال.

والسَّلام لقَلبك.

حبيبة عَلاء|تالِين".

_بَـاب الأمَـل.

"في بَعض الأحيانِ يُغلق الله عزَّ وجلَّ لنا بابًا؛ لكي يفتَح لنَا أبوابًا أخرىٰ أفضل منهُ بكثير؛ ولكن معظَـم النَّاس يصُـب تركيـزه وطاقته في النَّظـر إلىٰ البـاب المُغلق، بدلًا من باب الأمَل الذي فُتح لهُم علىٰ مصرَاعيهِ، فمـا أبهَىٰ الحيَـاة عندمـا ننظُـر للجانِـب المشرقِ لها، ومَا أجمل شُعـاع الشمس وهو يخترق نافذتـك بالأملِ من جديـد، فيومًا مـا ستتدارك أن أقسىٰ ما قَد مررتَ به كان خيرًا لكَ، جعلكَ أقوىٰ مما كنتَ عليهِ سابقًا، لا تيأس سيبهـرُك اللهُ برحمته وينسيك ذاك الألم، فالحياةُ أمل ومن فقد الأمل فقـد الحياة".

حبيبة عَـلاء|تالِين".

_مِن الله لِعباده.

كل ما كتبه الله لنا مِن خير؛ فهو رزق، وهو مقسومٌ لكُل إنسانٍ كما كتبه الله عز وجل، فكل شيءٍ بقدرِ الله والله قسَم لعبادِه السعادَة، الشقَاء، العمر، الرّزق، فما كانَ لك سوف يأتيك علىٰ ضعفكَ، وما كانَ لغيرك لن تنالهُ بقوتِك، أودُّ إخبارك شيئًا: ليست سعةُ الرزقِ والعمل بكثرته، ولا طُول العمر بكثرة الأعوام؛ ولكن سعة الرزقِ والعمر بالبركَة فيهِ.

يؤتي الله سبحانه وتعالىٰ الرزقَ لمن يشاء وليس لنَا دخل في ذلك، فكل شيءٍ بقدرِ الله؛ حتىٰ الرزق ينزلُه بقدرٍ وبغير حساب لمن أراد، والرزقُ ليس المَال والجَاه فقط، بل كل شيءٍ يُعطيه الله لعبدِه؛ فـالمال والصحة والسترُ والأولاد والحياة وكُل شيءٍ من الله رزق".

حبيبة عَلاء|تالِين".

_حروفي مُبعثرة.

"صفحة سوداوية، مليئة باليأس، والمأساة، حبرُ كلماتها الخوف، لون حبرها الألم، حروفها تضمر جل معاني التشتت والانهيار، عنوان تلك الصفحة، التي دائمًا ما يرفضها عقلي، وينفر منها قلبي هو "حروفي مُبعثرة".. أكره تلك الصفحة، التي لطالما ظلت عالقة في مرمىٰ الفؤاد، رافضة الطيَّ، ومُجاراة أحداث واقعي المهيب.

لست بخير، ولا أدري سبب ذلك، لا أدري ماهية شعوري الآن، لجأتُ للكتابة؛ للتعبير عن تلك الأمور المؤلمة، التي تفقد معاني التفسير، والتوضيح، فكان أول ما بدأتُ به "حروفي مُبعثرة"، نعم ذاك هو عنوان صفحتي الأليمة، وجدتُ فيها ما يقبل التفسير بالكتابة، أرغب في كتابة العديد مِن النصوص، التي تعبر عن حالي؛ لكن العقبة الآن ليس عنوان صفحتي، بل حروفي، نعم، حروفي! أود الآن تحريرها مِن قفص اليأس، القابع في صدري؛ لتطير مُحلقة، ومعها ذاك الحزن المُهيمن عليَّ؛ لكن لا أستطيع، لقد بدأ الحبر يجفُّ مِن محبرتي، وبدأ الخوف يزيد مِن فرض سيطرته عليَّ، وأنا جالسة في موئلي، لم أكتب شيئًا بعد، لقد كانت البداية قاسية، اعتقدت أن النهاية ستكون أفضل مِن سابقها؛ لكن كان اعتقادي خاطئًا، في هذه اللحظة غدىٰ فؤادي يعزف ألحان النهاية، والاستسلام، مُعلنًا مفارقة روحه الدجنة، وبلوغه أقسىٰ مراحل المُعاناة، أعتقد الآن أن الشيء الوحيد الصحيح أني اخترت هذا العنوان، دون النهاية؛ حتىٰ لا تكون نهاية نصِّي، كنهاية واقعي".

حبيبة عَلاء|تالِين.

_ في بحر الذَّات.

علىٰ صفحة السماء التي تنسدل عليها عباءة غائمة، أجواء تثير الرعب في الأفئدة، سوف تذهب معي-يا عزيزي- في رحلة لِبحر ذاتي، فأنا تلك الفتاة التي ينقسم كل بيت فيها إلىٰ شطرين لا بل بحرين أحدهما عذبٌ يقبل مُجاراة واقعه، والآخر تتلاطم فيه أمواج الضجيج والألم؛ لكن ومع أنهما في باطنٍ واحد، إلا أنهما لا يختلطان، يحجزهما برزخ مانع، الأمر مُعقد بعض الشيء؛ لكن الرحلة لم تبدأ بعد، بدايةُ رحلتي تبدأ بذاتي، السِّلاح الفتَّاك المُوجه نحوي، من الممكن أن يؤدِي بي إلىٰ البحر العذب، وأيضًا إلىٰ ذاك البحر المالح المُنفر مِن مياهه بعض الشيء، ذاتك لها خَيار واحد، أجل، فهي لا تتيحُ لك سوىٰ خيار الغوص في اتجاه واحد، إما قاع خيرٍ في المُطلق، وإما هاوية إلىٰ الدركِ الأسفل من جحيمها، انظر إلىٰ أعماق كل منها، فهناك واحد تنعم فيه بالقوة والرخاء، والثبات، والآخر يابس كأرض جرداء لا يحوي غير الهمِّ، والغمِّ والفقر، وبالتأكيد البحر الوافر هو المرغوب في شتىٰ أمور حياتك -يا عزيزي-رحلتك في بحر ذاتك، هي الرحلة التي لا إسهاب فيها ولا إطناب، مهما أطلت فيها، أنتِ هناك في ذاك البحر علىٰ هذا البرزخ الفاصل؛ لتختار أي البحار تسلك، لتعرف ماهية ذاتك.

حبيبة عَلاء|تالِين.

_لجةُ العائدين.

علىٰ صحيفةٍ باهتة اشتاقت لضوء القمر، وسحاب يُغطي أشجار غابة مُبهمة الأوصال، في مشهد يسري الرعبَ في الأفئدة، ظلامٌ دامس، يبدو أن القمر قد رسم أيامهُ الأخيرة، وولَّىٰ ذاهبًا، الصمتُ يحتل المكان بطريقة مُريبة لكن هناك شيء مَا يحدثُ، لا أدري كيف أوضح لك ماهيته! ارسم معي في مُخيلتك يا عزيزي صورة لجسدِ فتاة بدأ بالاستسلام لغياهب الظلام، تنقطع أنفاسهُ رويدًا رويدًا، يزداد هُبوطه في ذاك العُبعاب المُوحش، مِن المُفترض أن يُقاوم؛ للعيش مِن جديد؛ لكنه يبدو مُستسلمًا للغاية، راجيًا الموت والغرق للتخلصِ مِن جل تلك الآلام التي تحاصرُ روحه مِن دهماء الأكناف، جسد مُنهزم يرفضُ المقاومة ومُجارية أحداث واقعهِ الأليم، يرغب في الرحيل بشدة، يود أن تُمحىٰ ذكراه وأن يكون اسمه مذكورًا في دعوات رفاقه فقط، اتركه قليلًا واذهب لذاك الرجل الذي يجلسُ في قارب صغير، مُنزلًا سنارة صيده؛ علَّه يصيد شيئًا؛ لكن في مثل هذا الجو لا أعتقد أنه سوف يغنمُ شيئًا مما يفعله! وجوده لا معنىٰ لهُ في مُخيلتك الآن، فهل كان طوق نجاة لي؟ نعم فأنا تلك الفتاة التي تردي فستانًا أبيضًا يشبه لون كفنها، أنا تلك الفتاة التي حمَّلها الدهر ما لا تطيقه، لقد نجوتُ يا عزيزي بطريقة مَا، وها أنتَ تقرأ وتتخيل معي قصتي المأساويَّة بعض الشيء، أنا الآن ومع كل حرف أكتبهُ أشعر بألمٍ شاملٍ ينتابُ رُوحي، لا أدركُ ماهيته، وإلىٰ أي غابةٍ أو وادٍ حالك ستكون نهايتي؛ لكن الشيء المُدرك بالنسبة لي أنِّي لم أعد قادرة علىٰ تحمل كافة ذلك.

حبيبة عَلاء|تالِين".

_ذهابٌ بلا رجعة.

جَذم قلبي، كاد ينفجر مِن جمِّ ما أصابه من لوعاتٍ، تجعل روحه تفقد الدجنة، غير قادرة علىٰ إكمال المسير، لا أحد يدرك هول الآلام التي تستوطن خافقي، والحزن المُهيمن علىٰ ملامحِي، كان كثيرًا ما يُخيَّل إليَّ أنّك ستصبحين العون لي إبَّانها، لكن خيبتِ أملي المنشود، وغدوتِ كأي رفيقة ترافقني ولا تتمكَّن مِن إخراج الألم مِن صميم فؤادي، رغم هذا إلا أن روحي ظلَّت تتمارىٰ عليَّ حينها، فكيف لي أن أنساكي وأنتِ الرفيقة مُنذ الصِّغر! ظلّت تخاطبني قائلة: هذا حيف وجُور! فإنَّ مَن تودين تركَها وحيدة هي التي لم تجعلك تشعرين بوبيل وحدتك، وخوفك السرمَدي، ظلَّ هذا الهياط والمياط مشتعلًا داخلي بين روحي ونفسي، لكن بعد وقتٍ ليس بكثير، عدت لنفسي وتذكرت جل تلك المرات التي رجعتُ فيها مهزومة مِن العالم كله، فكانت حروفي، نعم حروفي! هي التي تُخرجني مِن كل نوائبي؛ لكن يبدو أني عدت بعد فوات الأوان، لقد ذهبت حروفي ولن ترجع مرة أخرىٰ، أود أن أقول لحروفي: غدت نوائبي أوداقًا، بعد أن كانت برفقتك غيثًا مِن نسيج إبداعك.

حبيبة عَلاء|تالِين".

_أسىٰ.

حرتُ حيرةَ حلزون يقف علىٰ مُنتصف شيء حاد، فلا هو يتقدَّم، ولا يرجع للوراء، فإن تقدَّم تألم، وإن رجع تألم، فماذا يفعل إن كان كلًّا مِن التقدم والرجوع مؤلمًا؟!أخبرني ما رأيك؟! أيهما أفضل؟! أسمع صوت أحدٍ يردد باستمرار: الانتظار؛ لكن يا صديقي الانتظار محنة، ففي الانتظار تتمزقُ الأعضاء، الأنفس، يموت الزمن، وهو يعني موت هذا الحلزون!

دعني أخبرك شيئًا: بعيدًا عن قصة ذاك الحلزون التي تحمل جل معاني الأسىٰ، إن مستقبلك يا صديقي يتركز علىٰ مقدمات بيّنة؛ ولكن نهاياته مُتناقضة، فليبعد كل ملهوف مِن قدح القلق ما يشاء، فإن كُنت مِن مَن تلازمهُ الهواجس، والحيرة، الريبة، ويستبدُّ بك القلق علىٰ مصيرك وتقدمك؛ فلا يمكنك حينها أن تقدم نتاجًا فكريًّا ذا قيمة، وختامًا: دعك مِن أمر الحيرة، وتوكَّل علىٰ الله، فهو أعلمُ منِّي ومنك.

حبيبة عَلاء|تالِين".

_سجـن مُوحش.

داخل سجن مُظلم يخترقُ ظلمته شعاع ضوءٍ ينعكس علىٰ وجهي، أجلسُ وحيدًا، مُستندًا علىٰ جداره، أنظر نحو اللاشيء مُنتظرًا تلكَ الأفكار التي تحاصرني مِن جل الأكنَاف المُحيطة بي، كَتلك الفئران التي تتقدمُ نحوي؛ لتحاصرني داخل سجنها، حتىٰ أوشكت علىٰ الاستسلام وكل هذا بسبب ما عهدته في حياتِي مِن خيانة حبيبٍ، كسرة قريبٍ، جفاء أهلٍ، لكن ومع جل هذا بقيت صامدًا مُصمدًا، في كل مرة يوشك الاستسلام أن يتمكن مني أصمُد؛ حتىٰ أصبح الصمود عند وهلة الاستسلام عنوانًا لي؛ لكن بدأت أحداث الدهر تدعوني للتراخِي، وفؤادي هذا ينادي مطالبًا النجاة، روحي تنادي هل مِن مُجيب، دجنتي، كياني، حالي، بدأتُ بإنكار وجودهم، والحقيقة المؤلمة أني أنكر وجود ما تمنيتُ، فهذا السجن المُوحش يزهقني بلين ينغض عيشتي".

حبيبة عَلاء|تالِين".

_في خريفِ الحياة.

تمر سنوات العمر كأوراق الشجر، تسقطُ واحدةً تلو الأخرىٰ، سقطت تلكَ الوريقات في خريف الحياة، ومازالت صفراء، تلونها بعض الخضرة، تمرُّ الأيام، وتنقضي معها أعمارٌ، وآجالٌ، ولا يوجد أدل علىٰ ذلك مِن أن أوراق الأشجار الجميلة، التي غدت يابسةً صفراء مع ريح هدر، معلنةً عن دخول فصل الخريف، الذي يرتبطُ اسمه في وجداننا مع تساقط أوراق الأشجار، وهبوب رياح الذكريات علىٰ عقولنا، هكذا يا صديقي، تُخلق الأيام؛ لتكون ذكريات، فَها أنا ذا أخيرًا أغمض عينايَ لأصحو علىٰ أطلال الذكريات المسكونة بالألم، الغارقة بالوجع، والانهيار، والحنين المُدمر سريعة تلك الأيام، فتلك الذكرياتُ التي لا تُمحىٰ تبقىٰ، راسخة في الفؤاد قبل العقل، مِن كلمات قِيلت عن جهل، أو سابق إصرار؛ لكن تغدو مع الأيام كتلكَ الأوراق اليابسة علىٰ الأرض لا أحد ينبهرُ بمظهرها، ولا برونقها.

تلك هي خلاصةُ أيامنا مع الحنين لذكريات لا تندمل.

حبيبة عَلاء|تالِين".

_الصدور خزائن الأسرار، والشفاه أقفالها، والألسن مفاتيحها كل امرئ، مفتاح سره".

"ما أطيبُ مِن اللسان إذا تعسَّل، وما أخبثُ منه إذا خبثَ، لسانكُ ذاك هلاك، كَسيف قاطع لا يؤمن حدُّه، فاحذر منه ولا تأمن ردَّه، لسانك أفة، إن لانت كلماتهُ، وجبت عليكَ يا مَن تسمعه محبتهُ، ما أضُمر لك في قلب شخص ستعرفهُ، مِن فلتات لسانه وطياتِ وجهه؛ فاللسان مفتاح لخزائن القلوب يا صديقي، أود إخبارك شيئًا: اللسان المدجّن كَبلبل نادر لا مثيل لشكله ولا لِصوتِ تغرديه، نادر يا صديقي.

قال شاعر ذات يومٍ:

إذا ضاق صدرُ المرء عن سر نفسه..

فصدرُ الذي يستودع السر أضيقُ.

إن كنت أنتَ لا تطيق حمل سرك، فما بال مَن عنده السر وهو ليس صاحبهُ، إن جئت وتحدثت عن عَيبِ إنسان، فتذكَّر جيدًا أنك أصل العيوبِ واصمت، فوالله إنه لَثعبان، وختامي: اعلم أنَّ لسانك اللين يغسل الضغائن مِن الجوارح، اجعلهُ كَريح المسك لا ينطق ما لا يعنيه، وإن تفوَّه فاحت رائحتهُ التي تجذب القلوب إليها يا صديقي.

حبيبة عَلاء|تالِين"

_أنتَ المُلام يا صديقي!

مؤلم جدًا هذا الشعور يا صديقي، فإن الفؤاد فيه ينخر مِن هول الألم المُهيمن عليه عندما يكون الخذلان، نعم الخذلان! مِن أشخاص افترشوا بؤبؤ العين، وتربعوا في صميم الفؤاد، كانوا جزءًا مِن الروح، أتساءل لما هذا الخذلان؟! هل لأننا أكثرنا مِن جرعة الثقة؟! ام هل لأننا غلبت علينا الطيبة، فباتت سلاحًا مُوجهًا نحونا؟!

لا توجد إجابة محددة لسؤالي هذا؛ لكن أظن أننا حقًّا أكثرنا جرعة الثقة، وثقنا بهم لدرجة أننا سلمنَا لهم زمام أمرنا وتركانهم يفعلون ما يحلو لهم، شبكنا أيديهم بأيدينا، كمثل الثلاثة كانوا في الصحراء ذات يوم، فبلغ منهم العطش مبلغًا، فقالوا لأحدهم وكان الأكثر طيبة: اذهب واجلب لنا ماءً مِن البئر وسوف نُنزلُك، وعندما همَّ بالنزول قاموا بدفعه بكل قوة، وراحوا ينظرون نحوه، وكأنهم لم يُلقوه مُنذ قليل، خذلوه، ظَلَّ ينادي ويلوح بيديه؛ علَّ أحدهم يرقُّ قلبه وينقذه؛ لكن كانت النتيجة عكس ذلك.

تركوه خلفهم بقلوبٍ جافية؛ لكن في النهاية هو المُخطئ، فهل ينتظر منهم العون، وهو قد وضع لهم مربط الفرس؛ ليصلوا لمُبتغاهم! هو السبب، نحن السبب، فقد أدخلناهم إلىٰ عالمنا الذي هو خاص بنا، فلا لوم عليهم مهما فعلوا.

حبيبة عَلاء|تالِين".

_مشاعر مفقودة.

هل بمقدُورك أن تنعم بالسلام في هذا العالم المُضطرب؟! سؤال يطرح ذاته، لكن إجابته هي الأصعب بالتأكيد، أرىٰ مِن منظوري أن السلام الداخلي صعبُ المنال، لكن بإمكانك تحقيقه، وتتجلىٰ قيمة هذا السلام في قدرتك علىٰ تجاهل البعض المُحبط مِن البشر، أن تبقىٰ مُنفردًا مع ذاتك، بعيدًا عن أراءهم السلبية؛ فهذا هو النضج الذي يحقق لكَ السلام الداخلي يا صديقي، إن شعرت بالسلام؛ فإنك حتمًا ستشعر بالراحة؛ فإن الراحة تتولَّد مِن السلام، إذ يعقبه النعيم بالإنجاز، لكن أين نعيم الإنجاز؟ أين تلك الراحة؟ قل لي يا صديقي: أين لي بسوقٍ أبتاعُ منه قدرًا مِن الراحة يُضفي ظلاله عليَّ، كَتلك القطة التي لَرُبما تراها تتحرر مِن قيود نفسها؛ لتصبح حرة تنطلق إلىٰ اللاشيء بعيدًا عن نفسها وغيرها، لكن إن تحققت الراحة رُغم أني أراها ليست بالأمر السهل؛ فهذا يولد لكَ شيئًا جديدًا يُسمىٰ الهدوء، هذا الشعور ليس بمقدوري شرحه، وإنما هو يشرح ذاته، شعور مُفعمٌ بكل ما هو مُريح هذا ما يمكنني قوله؛ لأنك لن تستطيع شرحه ما دُمت لا تنعم به! أو وجِّه سؤالك يا صديقي لتلك القطة التي لطالما تحققت فيها جل تلك المشاعر التي ابتغيتَها، فهي علىٰ الأقل نالتهَا.

حبيبة عَلاء|تالِين".

_جناح أبلقُ للوحدة.

حينما لم أكُن يومًا أميل لجناح الوحدة، كُنت دائمًا أنفر منها ومِن مَن يدَّعونها، فلماذا بدأت أحداث الدهر بإثباتها عليَّ؟
نعتني الناسُ

بها، رُغم أنني كنت أكثرهم ابتعادًا عنها؛ حتىٰ أثبتوها عليَّ إثبات الجريمة علىٰ المُتهم أُثبتت عليَّ، لم أجادل، رضيت بها، لكنها لم ترضَ بي! حتىٰ الوحدة لم تنصفني، خُيل إليَّ أنك ستكونين الكتف الذي يصح للاتكاء، لكن خيبتِ ظني بكِ، أخاطبُ الآن وحدتي: ظننت يومًا حينما أحكَم الناس إغلاق أبوابهم لي، أنكِ ستصبحين العون والمُنقذ لي إبَّانها، لكن ومع أول اختبار لكِ معي، تخلّيتِ عني، قالوا: اتركوها ووحدتها، وهم لا يعلمون أنها هي الأخرىٰ فعلت مثلهم وتخلت عنّي! والآن أنا الروح البالية، الجسد المُلقىٰ في قيعان اليأس والعناء، يشعر بألم يعتري خافقه، الموضوع مؤلم يا رفيق ولا يحتمل التعبير".

حبيبة عَلاء|تالِين".

_استثنائي أنت.

"انقضىٰ مَا كُنت أهابه، وأخشىٰ اقترابه، انتهىٰ بلمح البصر، وانتهت معهُ رحلة مِن رحلات الدراسـة والمُذاكرة، انتهت تلك القصـة القصيرة، التي علمتنا سطورهَا أن الأيام سريعة، اغتنمتها نلتَ درجات رفيعة، وإلا قضت عليكَ وجعلتك تعيش حياة مريرة، لا بديل يُغنيك عن النجاح؛ لكنك تعلم أن الأقدار بيدِ الله، يكتب لكَ ما هو خير لكَ، فمهمَا كانت النتيجة فلا تُبالي بها، أعلمُ أن فؤادك يدور حوله ذاتِه مُرتعبًا رغم أنه يعلم أيضًا أنها ليستِ النهاية، لكن لا لوم عليه ولا عليكَ، فقط اسعَ للنجاح، صمّم عليه؛ لتصل لمكانتك التي لطالما استحققتها، أود إخبارك: أنك استثنائي يا صديقي! نعم لا تتعجب أنت كذلك، وسنري قريبًا، وإلىٰ لقاء آخر، في رعاية-الله-.

حبيبة عَلاء|تالِين".

_كنز ضائع.

لا تفعل مثلي يا صديقي، لا تُكرر فعلتي الخاطئة، فلو عاد بي الزَّمن دقيقة للخَلف لمَا فعلتُ ما فعلته، أصبحتُ يا صديقي ضعيفًا، خَارت قواي، أضعتُ مُستقبلي بـيدايَ هَاتين، هل تدري يا صديقي كيف ضيعته؟!

سأخبرك أنا، ضيَّعتُ وقتي فسُرق عُمري، ذُهلت عن يومي في اقترابِ غَدي، وها أنا ذا أُحاول الإمساك بعقرَب الساعة؛ حتىٰ لا يمر الوقت ويزداد عُمري ضياعًا،

وقتِي الآن أصبح بمثابةِ عذابٍ لي، فكما قال شكسبير: "إذا ضيَّعت الوقت وأنـتَ شاب، ضيَّعك الوقتُ وأنـتَ كهل"، وها أنا ذا ضيَّعته وضيعني ولا أستطِيع تعويضه، أودُّ أن أنصحك يا صديقي؛ حتىٰ لا تقَع فيما وقعتُ فيه، تذكَّر دائمًا" أن تبدأ صغيرًا، فكر كبيرًا، لا تُلقي بالًا لأشياءٍ كثيرة في الوقتِ ذاته، ابدأ بالأشياء البسِيطة أولًا، ثمَّ توجه للأكثر تعقيدًا".

حبيبة عَلاء|تالِين".

_لستُ أنا المصير.

الفارق بيني وبينكَ ليس الكثير، غدوتَ قريبًا مني للغاية، وكعادتِي أشعرُ أن شبح الخوف باتَ هو الآخر قريبًا مني، أعلمُ أنكَ لستَ نهايةَ العالم، ولستَ مصيريًّا أيضًا، وإنما أنتَ تأتِي كل عامٍ لتعلمنِي وتنبهَني للمصِير القادم، أود الوصول لأعلىٰ درجاتِك، أفوق زملائِي، أصبح المركزَ الأول فيكَ، لكن أنتبهُ لذاتي حينما أسمع صوتًا داخلِي يقول: لقد جئتُ إليكِ فقط لأُدربكِ علىٰ كل ما هو قادم، حتىٰ تتعلمِي من أخطائكِ لا لتندمِي عليها وتنهمري في قيعان اليأس، أسمعهُ يردد باستمرار: نافسي نفسكِ، فلَا تذاكرِي حتىٰ تصبحي الأولىٰ فقط بين أقرانكِ؛ ولكن لتصبحي الفتاة الأولىٰ أمام ذاتكِ.

كان ذاكَ قبس مِن حالِي قبل اقتراب الاختبارات؛ لكن سأخبرك الآن ما تعلمتُه أكثر حينمَا كبرتُ وحققتُ مُرادِي:

نجاحُك يا صاحبي يجذب نجاحًا آخر لا مفر مِن هذا؛ لذلك إن كنتَ ترغب في النجاح؛ فاحرص علىٰ تحقيق جزء منهُ لتحققهُ كله.

إن شعرتَ بالاستسلام، لا تدع الأمر يهمين عليكَ كلكَ، حاول، جاهد، انطلق للأمام كما ولم يتوقع أحد منكَ ذلك، كم طالت عليكَ الليالي وأنتَ عاكف علىٰ مذاكرتك وواجباتكَ حتىٰ انعدمت بك السبل، وغابت ألوان البهجة عن حياتك، أعلم كل هذا؛ لكن حينما تنال ما سعيت إليه صدقنِي ستنسىٰ جل تلكَ الضغوطات التي كانت تحاصرك مِن دهماء الأكنَاف.

"ستدرك يومًا مَا أن ما مررتَ بهِ مِن أزماتٍ، عقباتٍ، ضغوطات مِن مَن حولك، كانت هذه رحلة قضَيتَها في البحث عمَّا يلائمُكَ، يلائمُكَ أنتَ فقط."

حبيبة عَلاء|تالِين".

_ستبـقىٰ.

"طَال بكائي، صليتُ وأطلتُ الركوع لحزني علىٰ مدينةِ الأنبياءِ والشهداءِ التي تفوحُ منها رائحةُ العطر والدم في آنٍ واحد، أصبحتِ يا قُدسي نهرًا مِن دمَاء، ونسَاءٍ ولدت شهدَاء، وأرضٍ نبتاهَا دم الأبريَاء.

فَواللهِ إن الكلمات لَـتختنقُ في حلقي، تليهَا تلكَ الغصة المعهودَة التي تراودنِي كلمَا تذكرتُ مظهر دمِ الشهداء والأبرار بينَ الدهسِ والنار، ومِن ثم تتجمدُ الدموع في مُقلتيَّ وتقاومُ الانهيَار متمسكةً بآخر خيوط رباطةِ الجأش في نفسي، لترهقَ فؤادِي المكلوم بمُحاولاتِ التمسكِ باللهِ، لكن يا قُدسي ستبقينَ دائمًا رمز الإباء والصُمود، يا قُدسي عذرًا فما أحرفي تجدِي، وماذَا ستجدي؟!

باللهِ لا تجزعي فإنا لأجلكِ دومًا نثور لأقصاك نبيعُ الحياة، وللخوفِ نمدُّ الجسور".

حبيبة عَلاء |تالِين.

_كلمة مؤلمَة.

مع آخر شعاع شمس، يأتِي الليل فاتحًا ستائر غموضِه كاسرّا نور النهار، ماحيًا أية آثار للضياء، ومع انهمار ذلكَ الدُجىٰ المهيمنُ علىٰ فؤادِي، لا أجدُ عباراتٍ تلائمُ شعوري بالظَّلام!

نعم الظلامَ فكل مَا أشعر بهِ هو ظلام دامِس يحاصرنِي مِن دهماء الأكنَاف.

مُتخفيًا في ستائر ظلمتِي، وحيدًا كَذلك القط الأسوَد المُنفر مِن وجودِه دائمًا، لا يحبُّه أي إنسانٍ، يهربون مِن وجودِه، جعلوه رمزًا للخرابِ والتشاؤم، هكذَا أنا جعلوا منِي رمزًا لخرابهِم وتشاؤمِهم، أصبحَ الديجور ملاذِي! انقطعت بي السُبل، صارت أحداث الدهر تدعو للاستسلام، لم أكن يومًا رمزًا لمَا يدَّعون به، وإنما كنتُ الجانبَ الذي يدعو للسلام، لم أعد قادرًا علىٰ استماع إهانتهم التي تُصب في فؤادِي كَالحَميم، لكن مازال داخلِي يقول: لن أهزم، سأبقىٰ كَذلك القط، يحاول التقربَ لِهؤلاء الأناس، سأبقىٰ ذا ظل خفيفٍ، سأمضي، سأواكبُ؛ لأنِي أقوىٰ مِن الإهانة.

حبيبة عَلاء|تالِين.

أمَا لِهذا الليلِ مِن فجرٍ؟!

أشعر بألم يستوطنُ جواري، روحِي تتآكل وكأنها نيران جائِعة ولا تجدُ ما يُشبعُ جوعها، فَبدأت بأكِل ذاتِها، فؤادِي يئِن مِن غور الألم، والظلام يجتاح وجدانِي، لم أكن أبدًا شخصًا واحدًا بل نسخًا متعددة لأشخاص غير سويين، هناكَ مشاعر مُضطربة متولدةٌ مِن شعور واحد لا أدري مَا هو، لكن الشيء الوحيد الذي أعرفه هو أنَّ أسلحة الاتهام مُسلطة عليَّ حتىٰ ومع جل تلكَ الشدائد التي تهيمن علىٰ فؤادِي.

أحاول الصُمود أمام الجميع؛ حتىٰ لا أصبح في منظورهم تلكَ الفتاة الضعيفة التي غَدت دجنتها كالرماد، لكن أسمع صوتًا خافتًا مِن باطنِي يقول: أمَا لِـهذا الظُّلم مِن آخر؟! أمَا لِـهذا الليلِ مِن فجرٍ؟! لقد نسيَ الجميعُ أن تحت الرمادِ وميضَ نارٍ يُوشك أن يشتعل، لكن هذه المرة لن يأكُل ذاته بل سيأكلُ كل من يقف أمامَه.

حبيبة عَلاء |تالِين.

_هدفِي.

سأصلُ لكَ مهمَا كان السبيل إليكَ قاسيًا، عانيتُ كثيرًا، تألمتُ، وانهمرت أدمُعي في كُل ليلةٍ كنتُ أسترجعُ فيها أنَّك سُلبت مني، فقدتُ نفسِي وشغفي تجاه كل شيء، أصبح جُل تفكيري يميلُ ناحيتَك، ناحية السعيِ لتحقيقك، فكم مِن مرة تحطم فؤادِي حين أرىٰ أن بلوغي لكَ أصبح مُستحيلًا، فقدتُ طاقتِي التي لطالمَا كانت تحفزنِي علىٰ بلوغِك؛ حتىٰ غدوتُ كَزهرة ذبلت بعدمَا ذاقت مُر العنَاء، لكن ومع جل تلكَ الشدائدِ التي تزهقُ خافقِي، وتؤلمُ روحي، واصلتُ السَّعي إليكَ، لم أعطي بالًا لمَا يحدثُ معِي، حاولتُ جاهدة تفريغ جل وقتي لكَ، حاولتُ الصمود، حاولتُ صُنع نورٍ مِن ظلامٍ كان يسيطر علىٰ جوارحي وكل هذا؛ لأني أعلمُ أن فرحتي عند تحقيقك ستُنسينِي مرارة الأيامِ، سأنسىٰ ما حطمني وزهقني فقط عندَ منالِك، حينما أقول: "فجعلهُ ربي حقًّا".

حبيبة عَلاء |تالِين.

_الرَّمَـادي.

"يستوقفنا، يحاولُ استفزاز منطقنَا، نجدُ أنفُسنَا محكُومين برماديَّتِه، لهُ صوتٌ ترتجفُ منهُ طبلة أذنكَ حين تسمعُه، يجبُرك علىٰ استثنائِه من بين كُل الطيُور.

إنَّهُ الغُـراب المتميّز في مُختلف الثقافات، حضورٌ يطغىٰ عليهِ في مُعظم الأحيان، ينفر منهُ الناس حتىٰ يصلُ بهم للكراهِية، والتشاؤم؛ حتىٰ يصلُ بهم لاستشعارِ المَوت!

يقفُ ذاكَ الغُراب ممسكًا مفتاحًا، علىٰ ساعةٍ يتحرك عقربيهَا حتىٰ أوشكَ أن يُقارب الرابعة والنِّصف، في جو غائمٍ، حالِك، وأوراقُ الأشجار ساقطة توحِي أننا في فصلِ الخريف.

لا أعلمُ ماذا يعنِي ذالك المفتَاح، وإلىٰ ماذا يرمُز ذالك الغُراب، وهل هي نهايةُ العالم؛ حتىٰ أنا كاتبةُ هذا النَّص لا أعرفُ النِّهاية".

حبيبة عَـلاء |تالِين

_خَـراب.

تختلطُ الأحاسيس، والمشاعر، تتضارب الأفكار في رأسي، أقف عاجزة عن كتابة ما يصف حالي؛ فرأسي يضج بالأفكار المُتضاربة، التي تمنعني عن وصف ما أمرُّ به، أجدُ ذاتي تتخبط داخل مجموعة مِن الحلقات الفارغة، التي لا جدوىٰ منها، أحاول بكل جهدي إيجاد ذاتي؛ لكن في النهاية، الأمر يوجّه نحوي أسلحة الفشل، جهدي المبذول بلا نتيجة؛ يجعلني ألهثُ للتنفس، مُرهقة مِن التعب، ويزداد ضجيج الأفكار؛ ليجعلني أشعر بصفير حاد يختلج طبلة أذني؛ لأضع يدي علىٰ أذني، محاولة منع هذه المعركة، ظلام دامس يحلِّق في الوجود؛ سببه تلك العصابة، التي تمنعني مِن رؤية ما يجول حولي، وكأني طَلِيسة، خيوط مُحاكة بعشوائية، حول فمي، وكأن الحائِك مازال في بداية تعلمه للحياكة، تجعلني عاجزة عن النطق؛ لذلك لجأت في البداية للكتابة؛ لكني لم أتحمَّل صفير أذني؛ فلم أكتب، حينما اتبعتُ عقلي، بينما كل هذا الخراب يعجُّ بقلبي، والأفكار تتزاحم في رأسي، والألم ينغرس بصدري، والكتمان يفترسني، وينهش كل كلمة تقف علىٰ حدود ثغري، كلمة واحدة يتردد صداها داخل رأسي..وهي: خراب.. خراب، وأظنهُ خراب بكل ما تضمره الكلمة في جوفها مِن معنىٰ.

حبيبـة عَـلاء|تالِين.

_صمودُ الهِجرة.

"بقيتُ وحيدةً، منعزلةً عن الجميعِ، كَحجرٍ صامدٍ لا يقهَرُه شيء، يحاولُ إزاحة جُل تلكَ الأساليب التِي غَدت لا تصحُ إلا أن يُقال عنهَا مُمِيتة، أصبحَ الثباتُ عنوانًا لي، صدماتٌ متتالية، خيباتُ أملٍ مُستمرة، حتىٰ الحُزن عاهدنِي بأن لا نفترِق، جُل تلكَ الصدمات تعصفُ بي من الداخِل؛ لكن خارجي يبدو عليهِ الثبات.

بداخلِي شخصٌ مُهاجر يبحثُ عن السَّلام بعد حربٍ داخليةٍ دامِية دامَت سنينَ عِدة، شخصٌ يبحثُ عن المُستراحِ معَ غروبِ شمسِ الأمانِ مِن حياتِه، ضج داخلي من جميعِ تلكَ الأحداثِ التي تدُور فيهِ، يودُّ لو يجِد مُستراحًا يُريحهُ ويُرِيحُ ثباتهُ، يودُّ لو يُزاح هذَا الجزءُ الذي أفسدهُ ثباتُه، الذي يمثِّلُ خطرًا علىٰ روحِه، وها أنا ذا هاجرتُ بحثًا عن السَّلام، هجرتُ ولم أهجَر، أعلمُ جيّدًا أنني لن أستطيعَ إراحة ذاتِي بهجر موطنِي، فبقاءُ ما يؤذيهَا لن يُريحها".

حبيبة عَلاء|تالِين.

_سجينَةُ الكُتب.

"كَانت الكُتب ملاذِي الوحيد في عالمٍ يضُجُّ بالسواد من كُل جانب، أذهبُ معهَا في عالمٍ مريحٍ، غيرَ عابئةٍ بمَا يدُور في الوَاقع.

أن تكُون مثقفًا ليسَ بالسهلِ أبدًا، أن تُحب ما تقرأه وتُغامر فيهِ ليسَ بالسهلِ أبدًا، وليسَ هُناك أدلُّ علىٰ ذلكَ من تلكَ الرغبةِ المتزايدَة في نفوس قُرائِنا كُل يومٍ عن اليومِ الذي يسبقُه؛ لكن الآن وفي مثل أيامنَا لم تَعُد الكُتبَ كما كانَت سابقًا، مهدًا نُربىٰ عليهِ، حياةً بروح غيرَ الرُوح، أصبحتَ لا قيمة لها ولا معنىٰ من وجهة نظر التافهِين، مرصوصة علىٰ الرفوف، بالية، والغُبار يملأها، أوراقُها مُصفرَّة، لكن مهما حدث سأظَلُّ أنا سَجِينة الكُتب، وستظلُّ الكُتب ملاذِي الذي أهربُ إليهِ من ضجيجِ العالم".

حبيبة عَلاء |تالِين.

_قصةُ فراق.

تذكرتُ أيامنا فبكيت....

لكن هذه المرة لم يكن بكاء دارجًا كسابقه؛ حتىٰ أن الدموع لم تنزل مِن مقلتيَّ، إلا أن فؤادي كان وما برَحَ يغرق فيها، ما زلت أتذكر يوم الفراق، بأدقِّ تفاصيله، بأنَّاته، ومأساته، وحزنه الدفين، بدأ الأمرُ في صباح يوم صبيحٍ، فتَّان، هاتفتني بصوتك الآسر قائلًا: أود لقاءكِ؛ لأخبرك بشيء هام..

كانت نبرتك مُربكة لي بعض الشيء؛ لكني لم أكترث..

أجبتك: أنا في انتظارك، في مكاننا المُحدد..

مرت نصف ساعة تقريبًا، وكنت جالسة بانتظارك، في نفس المكان الذي التقينا به لأول مرة، وإن كنت أعلم أنه آخر مكان سوف نلتقي به، ما التقيتُ بك أبدًا..

جئت ومعالم الخوف تستوطن طيَّاتك. قلت بدون أي مقدمات: أنا لا أحبك، لن أستطيع إكمال الدَّرب معك.. وكأن كلماتك هَوَت عليَّ كالصاعقة؛ فجعلتني أشعر أني في عالم غير عالمي، في مكان غير مكاني، ثم ذهبت وتركتني إثْر صدمتي، واقفة في موئلي، أنظر إلىٰ طيفك، والدموع تترقرق في مقلتيَّ، وتأبىٰ الهبوط، يتساقط الجليد عليَّ، وتتطاير خصيلات شعري مائلة تجاه ذهابك، أصبح معطفي لا يمثل لي أي حرف مِن حروف الدفء مذ أن ولَّيت ذاهبًا؛ لكن أنتَ مَن اخترت الرحيل، لم تبالي بي، ولا بمشاعري، ذهبت بقلب جافٍ، وتركتني في مظهر يُبكي الفؤاد، قبل العين، شعرت حينها بألم الفراق، ونظرة الشتات، وارتعاش النبض..

توالت أيامي، ظننت أني سأنسىٰ؛ لكن الجرح يتجدد، كلما تذكرت تفاصيل قصتنا؛ فيصبح أشدَّ حرقة، وألمًا، ومع كل مرة أتذكرك فيها، تبدأ أوتار اللحن الحزين العزف بين مدارات فؤادي، كانت تلك الأوتار تحمل جلَّ معاني الحب قبل ذاك اليوم، والآن أصبحَتْ كاليتيم تعزف حزنًا، وتبكي علىٰ الأطلال، وتتذكر مكان اللقاء، والفراق.

حبيبـة عَلاء|تالِين.

_أقنعةٌ كاذبةِ.

"لستُ علىٰ ما يُرام، غير أن ملامحِي ما زالت كَصحِيفة هيمَن عليهَا الحزن في جل أوقاتِها، أقضي أيامًا تنهمرُ فيهَا أدمعِي حزنًا علىٰ حالِي، أحاولُ بجُل ما مُنحتُ مِن قوة إخفاء حزنِي بتلكَ الأقنعةِ الكَاذبة التي دائمًا مَا تستطيع النجَاح في إخفاء تلكَ الندوب المُهيمنة عليَّ مِن دهماء الأكنَاف، أخفي قسوتِي، كبريَائي، أخفِي خلفَ قناعِي معرفتِي بالمَسئولية، واللامُبالاة، ومشاعر مُضربة تكاد تفتكُ بي، جعَلت تلكَ الأقنعة مني شخصًا كُنت أنفرُ مِن وجوده حتىٰ في أحلامِي، جثمانًا هامدًا غيرَ قادر علىٰ ملاقاةِ أي شيءٍ في حياتِه، ذابتَ ملامحي خلفَ أقنعةِ الكَذب، انهارَ جانبي الصامدُ مِن غور الألم، أدركتُ أن أقنعتِي كفيلة بجعلِي أشعرُ بأني حي بجسدٍ لا روحَ فيهِ، يوجد بداخلهِ أقنعةٌ كاذبةٍ".

حبيبـة عَـلاء|تالِين.

_ما بينَ الضُّلوعِ لا يزُول.

تبتسمينَ فيفقدُ القمرُ وعيهُ، ويكتمُ القمرُ تنهدهُ، ويسقطُ من السماءِ نجمٌ مِن فرطِ جمالكِ، فعندما رفعتُ قلمي، وكتبتُ إحساسِي لحظةَ لقياكِي، فقدتُ كيانِي، جئتِ سكنتي وجدانِي، وتغلغلتي داخل روحِي، واقتلعتِي أحزانِي، ولدائِي أنتِ دوائِي، ولا تسألِينِي عن الندىٰ فلن يكونَ أرقَّ منكِ، ولا تسألِيني عنِ وطنِي فقد أقمتُهُ بينَ يديكِ، ولا عن اسمي فقد تناسيتُه عندمَا أحببتُكِ، وكأنَّكِ أتيتِ أسيقتِ أضلعِي، فَنبِت قلبًا متيَّمًا بـكِ عزيزتِي، ومَا بينَ الضلوعِ إليكِ حبٌ، تزُولُ الرَّاسياتُ ولا يزولُ.

حبيبة عَلاء|تالِين.

_اضطراب في بحر هائج.

"بحرٌ عاصِف، وأمواجٌ تتمَايلُ بالسَّفينة في كُل اتجَاه؛ ترفعُها عاليًا وتهبِط بها حَتىٰ أوشكَ البحرُ أن يبتلعَها، الموتُ يلوحُ في الأفُق، والغَرق واردٌ في أيَّة لحظة، هذا ليسَ مشهدًا في فِيلم رُعب بل هو جزءٌ بسيطٌ من رحَلات البحَّارة.

يرىٰ البعضُ أن الحيَاة في البحر ورديَّة، إلا أن الأمر ليس كَما يظنون تمامًا، دعنِي أروي لكَ قصَّة قصِيرة علهَا تبينُ لكَ خُطورة الموضُوع: كَان المكان هادئًا وساكنًا؛ لكن في الهَزيع الآخر من الليلِ صارت السفِينة تتمايل يمينًا ويسارًا، ويال الهول، لقد انقَلب الأمرُ رأسًا علىٰ عقب، وأصبحَت السفينة تهتَز بسرعةٍ وبقوة، وأصبحَ البحر هائجًا وسط ليلٍ حالكِ السَّواد، والظلمة تعمُّ المكان، والطبيعةُ غاضبةٌ تزمجر، والسُّحب ملبَّدة في السماء، الخطيرُ في هذا هو أن السفِينة تمخُر وتتعمَّق في بحرٍ عاصفٍ وهائج، حقًا الأمر ليس بالسَّهل أبدًا، ثم وهذا هو الأخطَر فعندما تتحرك السفِينة داخل البحر أكثر، تشعُر بأن الموجَ يسحبُك لأسفل والعجيبُ في هذا هو أنَّك ترىٰ ضوءًا خافتًا في الأعمَاق، يبدو لك وكأنه طوقُ النجاة؛ لكن حتمًا ليسَت النهايةُ، بالنِّهايةِ السَّعيدة".

حبيبة عَلاء |تالِين".

_فشل وَهمي.

فاشِلة، تِلك هي الكلمة الوحِيدة التِي كلما رَأوني قَالوها، أعبُر وكأني لم أسمَعها؛ ولكني سَئِمتُ العَيشَ هَكذا، لا أحَد يُقدِّر مجهُودي المَبذُول، ألَا يعلمُون أنَّ كل شيءٍ بيد الله، فكل ما ينتظرونه هي تِلك الصَّفعة التِي تهديهَا لِي الحَياة؛ حتَّىٰ يقُولوا هَا هِي ذَا الفَاشلة التِي لا تَقدر علىٰ الصُّمود، أرىٰ أنَّ تلكَ الكلمة تكرَّر صداهَا علىٰ مسامِعي حتَّىٰ زهدتُ منهَا وممن يقولونَها، حتَّىٰ أنِّي لم أعد أُلقي لهَا بالًا، فلقد صَفعتني الحيَاة مِرارًا؛ لكن كل صفعَة تختَلفُ عن الأخرىٰ، علمتنِي أنْ أختَار من أصَاحبهُم، مَن يُشجعُوننِي عنَد نجَاحي، مَن يسَاندوننِي عند ضعفِي لا مَن ينتظِرون لحظَة سقوطِي وانهيَاري، علَّمتني أن أسقُط وأعُود أقْوىٰ مِن ذِي قَبل، وأنَّ فشَلي من وجهَة نظَر الآخرين ما هو إلا فشل وَهمي.

حبيبة عَلاء|تالِين".

_ذكريَات مِن طفُولة.

"عندمَا أجلسُ وأرجعُ بذاكِرتي للخلف، وأتذكَّر أيَّام الطفولة ونقائِها، أتذكَّر ما يملأ قلبي ألَا وهُو عشقُ الطُّفولة، كَان فكرِي تائِه يبحثُ عن بريق الأمَل في دُروب الحيَاة، ألمٌ وآهاتٌ تطبقُ علىٰ أنفاسِي، رأيتُك من بعيدٍ تأتي إليَّ ويدكَ خلفَ ظهركَ، فسألتكُ ببراءة: ماذا تُخفي خلفَ ظهرك، لم تُجب علىٰ سؤالي؛ لكن أخرجت ما كُنت تخفيه، ورودًا جميلة تُشبهُ السماء الصافِية، فابتسمُت وكان قلبي يرقُص فرحًا، تلكَ هي قصصُ الحبِّ البريئَة، كانتَ أيامًا تجدُ فيها الابتسامة البريئَة، مرسامًا علىٰ الوجوه، والبساطةَ في التعامُل، لا حقدَ فيهَا ولا غِل، يعيشون اليومَ بيومِه ولا يحملونَ في قلوبهِم همًّا ولا غمًّا، ذهبت تلك الأيامُ وذبلت تلكَ الورُود ولن تُعود ابتسامتُنا ولن نعُود نحن".

حبيبة عَلاء|تالِين".

_هُدوء كاذِب.

بتُّ أتظاهرُ بالهدوءِ؛ لكن داخلي ضجيجٌ مُزعج يُجبرني أن أحطِّم كل شيءٍ بصمت، بباطنِي ندوبٌ لا يتحملهَا إلا الورق، وفِي هدوئِي حنينٌ لي لا يعرفُه إلا الليل والأرَق، داخِلي ضجيج كادَ يقتُلني، كَغابة جَميلة ذاقَت عنَاء الدَّهر، فاشتعلت، وتركتني رمادًا ينثُرني، تعبتُ مِن رسم غابةٍ باهيةٍ للعُيون، وباطنِي حزينٌ تملؤهُ النُدوب، عشقتُ وحدَتي مِن صميم الفُؤاد، فجعلتنِي رمادًا تذروهُ الرياح، كُسرتُ وكُسرَت أضلعِي، وباتت حروفِي لا تعِي مَا تكونه مِن كلماتٍ لا تُوفِّي حقَّـهُ، باتَ شوقِي لنفسي قبَل هدوئِي هَذا كريح عاصف هدرٍ، والقلبُ بينَ ضلوعي كالهوىٰ وَثبا، فَكُل شيءٍ صامت، عدا ذاكَ الضجيجُ بل الاحتراقُ بداخِلي فقط هُو مَن يتَحدث إليَّ، أسمعهُ وحدِي يهمسُ إليَّ: أنَا هدوء كاذِب".

حبيبة عَلاء|تالِين.

_رَمَـــاد.

"نفدت طاقتِي والديجُور يحيطُني، هزمتنِي نفسِي، أشعُر بأنني بدأتُ بالتلاشِي، أصبحتُ كهيكَلٍ عظمِيّ تناثرت أجزاءُه ولَا يستَطيعُ لملمةَ شتات نفسِه، كُنت أحزن وأصمُت وبداخِلي نارٌ مُوقدَة، لكن خارت قواي ولم أعُد أقدر أن أكبت هذه النَار فهزمتني وجعلتنِي بقايَا إنسانٍ يتظاهرُ بأنهُ حَي، جعلتنِي رمَادًا تذروهُ الريَاح، أكرهُ اللونَ الرمَادِي فهُو يُشبه الهَلاك والضَّياع؛ لكن الحقيقة التي لا يُمكنُني الهُروب منهَا، هي أن حَياتِي أصبحت رماديَّة اللون وهذا ما كُنت أخشاه، شعورٌ بالضعف وقلة الحيلة في جُل تلكَ الأمُور تجعلنِي أنهَارُ رويدًا رويدًا".

حبيبة عَلاء|تالِين".

_متىٰ يحينُ اللَقاء.

هل تدرينَ ماذا فعلتِ بي؟

لقد جاءَ اليومُ الذي كُنت أهـابُه، ذهبتِ وتركتينِي وحيدًا أقفُ أمامَ قبركِ مُمسكًا بزهورٍ قد ذبلت؛ لغُروب ألوان البهجَة عن حيَاتي، تلوَّنت حياتي باللونِ الرمادِي، أصبحتُ تعيسًا، أقفُ مُنحنيَ الرأسِ، ومع سقوطِ المطر عليَّ، أصبحتُ في صورةٍ مؤلمةٍ لمن يراهَا، فلماذا رحلتِ؟

مازالت روحكِ تحتضنُني وتحتضنُ أحزانِي، لم تذهب معكِ بعد، فَذاهبُك تركَ داخِلِي ندوبًا لن أستطيعُ التعافي منهَا أبدًا، لم أعُد أقدرُ علىٰ الصُمود، فَنزُوحك ولَّد بداخِلِي إعصارًا بالكادِ أستطيعُ الوقوف علىٰ قداماي حتىٰ الآن؛ ولكن مع هُبوب الرياح مرة أخرىٰ علىٰ حياتِي من بعدك سأنهارُ من أول لحظة، فأنا أحتاجُك، أحتاجُكِ أنتِ بذاتِك، فمتىٰ يحينُ اللقاء؟

حبيبة عَلاء|تالِين.

_نهايةٌ حتميَّة.

"أحاولُ التَّملص من خوفي؛ لكن يأبىٰ تركِي، كغسق الليل أصبح قلبِي تمامًا، قاتم اللون، لا أملٌ فيهِ يبدو داخِلي كَبُركانٍ، تتصاعدُ منهُ حُمم مِن الخوفِ، لقد حلَّ ما كُنت أخشاه، حاولتُ بكل ما أوتيتُ من قوةٍ منع حدوثِه؛ لكن تمكَّن الخوفُ منِّي، سَيطر عليَّ تمامًا، دائمًا ما كُنت أحاول السيطرة عليه في جُل أمُوري، كُنت أمنعُه من الخُروج أمام الجميع، بشتَّىٰ ما وُهبت من قوة؛ لكن الآن تحرَّر من جوفِي وخرجَ في هيئةِ وحشٍ سيفتكُ بي قريبًا، باتت قوايَ غيرَ نافعةٍ في مُحاولة منعهِ، باتَت حياتِي ملونةً بلونِ الخوف، ذاكَ اللونُ المنفر من وجودِه دائمًا، حانت نهايتي ونهايةُ أمري، أصبحتِ الحقيقة واضحة، تمكَّن الخوفُ مني، حطمَ داخلي، جعلني أشلاءً لا تقدر علىٰ تجميع شتاتَ نفسها، باتت نهايتي حَتميَّة".

حبيبة عَلاء|تالِين.

"وحتَّىٰ إن هجرتنِي".

أحببتُك وياليتني لم أفعل، هجَرتني في لحظةٍ لم أتوقعها، كنت أنتَ السَّند في المحَن، الجَبل الذي أهوِي إليه ولا أُلقِي بالًا لأي شيءٍ، أحببتُك بكل ما أملكُ من قوَّة وكأن قلبي أقسمَ علىٰ التَّعلقِ بكَ وعدمِ النبضِ لغيركَ، ذهبت بعيدًا عنِّي وتركتَ فجوةً داخلي لا أستطيعُ ترميمَها، وكأن رُوحي قُبضت وتوقَّف قلبي عن النبضِ، أصرُخ لِـ قلبي هذَا الأبلهَ بأن لا يتعلَّق بك، لكن يأبىٰ ويرفُض، يالهُ من أحمقٍ، لكن أودُّ القول لكَ أنَّه مهمَا مرَّ الزمن وتغيرت الأيَّام ستبقىٰ أنتَ وحدَك تُعيد النبضَ لِـ قلبِي، ستبقىٰ بداخلهِ، وحتىٰ إن هجرتَني.

حبيبـة عـلاء "الداعيـة الصـغيرة "

_غروب.

فِي مكانٍ غيمَ عليه الظَّلام، وعندمَا تهدأ الأصواتُ مِن حولي، ويختفِي بصيصُ الأمَل بالنسبةِ لي، أجدُني واقفة في غُرفةٍ أنظرُ نحوَ نافذةٍ، لا أعلمُ مَاهية مَا يحدُث؛ لكن داخلي ينبضُ بشدة، بِتُّ مُحطمة، أشعُر أنَّ شبح الوحدَة باتَ قريبًا مني للغَاية؛ لكن رغم ذلكَ إلا أنني أشعُر بالراحةِ في هذا المكَان، وكأنهُ عالم مِن خَيال، أعتقدُ أن مَا يصيرُ لي بسبب وحدتِي وحزنِي المُهيمِنُ عليَّ في جُل الأوقاتِ؛ لكن معَ مُرور الوقتِ بدأ الأمرُ يزدادُ سوءًا، بدأت دوامَاتُ التَّشتت تُحاوطني مِن دهماء الأكنَاف، غَدت كُل آمالي الآن تنحصرُ في أن يمُر اليوم، ويأخذنِي الموتُ؛ فلم يعُد بباطني القدرة علىٰ مُواجهة جُل تلكَ الأحداث التي تهيمِن علىٰ قلبي.

حبيبة عَلاء|تالِين.

_تمردَ قلبي عليَّ.

"اشتاقَ قلبي لهُ، رغم أنهُ من كسرهُ، وكأنه قد كُتب علىٰ قلبي أن يسعد في لحظةٍ، وأن يحزن في اللحظةِ التي تليهَا، أصبحَ قلبي تمامًا مثل الصحراءِ التي تتفتنُ الرياحُ بتعذيبِ رمالهَا.

أسألُ نفسي مرارًا: هل كُنت مصدر إزعاجٍ له؟

هل كنتُ عبئًا ثقيلًا علىٰ قلبهِ؟

وحتَّىٰ وإن كانَ قربي منهُ يسبب لهُ الإزعاج، فَلماذا لم يذهب منذُ الأون الأولىٰ، انتظر فقط لحين تعلق قلبي بهِ وذهب مُسرعًا، رحَل ولم يفكِّر بي لوهلةٍ حتَّىٰ، أقسمتُ أنني سأنساهُ، وسأمحي تلكَ الأيامَ التي قضيتُها برفقةِ مَن أحببتُ؛ لكن قلبي أقسمَ علىٰ عدمِ فُراقه، أبَىٰ، أبَىٰ بشدة، تمرَّد عليَّ واستطاعَ هزمِي، والآن أنا المُشتاقةُ لهُ ولِلُقيَاه".

حبيبة عَلاء|تالِين.

_وحُوش بشرية.

" أجلس في الزاويةِ متكورًا حول نفسي، محاولًا تلاشي تلك الانتقادات والاتهامات التي يوجهونها لي، أشعر أن قلبي يتمزق من الحزن والأسىٰ ولا أعِي ما أنطقه، فلقد اعتدتُ الوحدة لأنها باتت أسلوب حياتي، أصبحتُ الوحدة العمق الأخير والملاذَ الآمن الذي أهرب إليه عندما يوجهون إلي أسلحة الاتهام، باتت ثقتي في نفسي شيئًا منسيًا بالنسبة لي، وكل هذا بسبب بعض الاتهامات، يصرخون بي لماذا هذا وهذا ولا يعلمُون أنهم هم السبب الرئيس، حاولت التجاهُل؛ ولكِن قلبي لا يقبل بأن يعيش منكسر الخاطر، يريد وبشدة بأن يأخذ حقه من هؤلاء المحبطين؛ ولكن كيف؟ أنا لا أعلم الإجابة".

حبيبة عَلاء |تالِين".

_لا أحَد يَعلمُ.

يقولون أنَّك وحِيدة ولا أحَد يَعلم حقيقتك، لا أحد يعلم كمَّ الصِّراعات بداخلك، لا أحد يعلمُ أن خَلف تلك القُوة التي تُظهرينها طِفل ينام باكيًا كل يومٍ، يحكي قِصة يومه بحُلوها ومُرها لوسادَته فهي الوحِيدة التي تَسمعه وهي صامِتة، لا أحد يعلمُ أنَّكِ تُجاهدين وتُعانين كل يوم حتىٰ تكوني بخَير، دعِي ذاك الانكسَار بعيدًا وامضِي حيثُ ما شئتِ، فأنتِ دائمًا وحيدة بذاتك وبمفردك، كنتِ أنتِ الأقوىٰ دائمًا، يلومونكُ علىٰ البُعد، ولا أحد يعلمُ كل هذا، لذلك دعكِ منهم، فأنتِ قَويَّة، قويَّة جدًا.

حبيبة عَلاء |تالِين"

_ثِق بذاتِك.

دعنِي أخبرك يا صديقي عن تجربتِي في الحياة، عن مَا قد علَّمتُه لي، عن كيفَ كُنت شخصًا وأصبحتُ شخصًا آخر، كُنت مُجرد شخصٍ يعيشُ حياةً عَادية، عَديم الشَّغف والثقة؛ لكن مع مُرور الأيام وتلقينهَا لي أصبحتُ شخصًا آخر، لدَيَّ طموح، أقوىٰ من ذي قبل، أصبحت شخصيَّتي قائدة مؤثِّرة في الغَير، أصبحتُ مُتحمِّلًا للمَسؤولية مهمَا كان طريقِي شائكًا ومعقَّدًا، لم أقصِد قوة البنيَان وإنَّما قُوة الفِكر والعقلِ، يُقال عنِّي الآن: كلماته وأفكارُه قوية، كيف أصبح كذلك؟ قلت لهم: جُملة القولِ في كلمةٍ واحدة ألا وهِي الثِّقة، لا تدَع اليأس يُسيطِرُ علىٰ حياتك، انظر من أين تشرقُ الشمس كُل فجرٍ جديد؛ لتعلِّم النَّاس الدرسَ الذي أرادَ اللهُ أن يعلمَه لعبادِه، وهو أنَّ الغروبَ لا يَحول دون شروقِ الشمسِ مرةً أخرىٰ في كل صباح جديد، كُن مثلِي، حاول، جاهد استمر، ثق بذاتِك؛ لتُصبح أقوىٰ، لا تيأس فأنتَ أقوىٰ من الحيَاة".

حبيبة عَلاء|تالِين.

_عيون تتحدَّث.

"جَذمَ قلبي، كَاد ينفجرُ من الشجن، أعيش في الديجُور، لم أعُد أقدر علىٰ الكتمان، فبداخِلي شعور بالبُعد والحُزن، الخذلان وحتىٰ الفرَاق قد جاس في دياري، صمت، صمت؛ لكن عيناي أبت أن تصمُت، دوامَات مِن البكاء المَرير، تجعلُني أسألُ نفسِي من هَذا الشخص، بتُّ أرىٰ أمامي شخصًا لا أعرفُه إطلاقًا، عيناهُ مُحمرتان من أثر البُكاء، أهدابه تميلُ للأسفل، مُحطم كُليًّا، تنظُر في عينيهِ، فتجزمُ أن حياتهُ لم تخلُو مِن الصراعَات، هُنا تحدَّثت عيناه، غدًا سوف ينفجِرُ بدون تمهِيد لمَا قد يحدُث، وعندئذ لا تلوموه".

حبيبة عَلاء|تالِين".

_فَجوة روحِية.

"شيئًا ما بداخِلي تلاشىٰ، اختفت و تبخَّرت تلك الجوهرَة التي تبعث الطَّاقة داخِل جسدي، كأن حَياتي بأسرِها تلاشت ولم يَعُد لها أيُّ وُجود، هل تُدرك كم كان الأمرُ رهيبًا، لم تعُد لدي أية رغبةٍ بأن أبقىٰ بالقُربِ من أحَد وسلامٌ عليَّ وعلىٰ اكتفَائِي، وسلامًا علىٰ أعيُنِي التي ذاقَت العنَاء، وما زلتُ أضحكُ وفي قلبي فوقَ البكاءِ بكاء، أشعُر أن هناكَ أشياءٌ تتراكمُ فِي أعمَاق قلبِي، فإن فتحتُ لها مَجالًا لِلبوح، ستمطِر مِن العين، قَبل أن تترجم إلىٰ كلمات، أعترفُ أنني دائمًا ما أتظاهَرُ بالقوة، لكن داخِلي عالمٌ يبكي، بـتُّ أعيشُ حياتِي في فجوة روحية".

حبيبة عَلاء|تالِين".

_قلبٌ أرهقتهُ الحيـاة.

"أروي لكم قصَّتي والدموع تذرف من عيناي، والفُؤاد يخفِق، يرتعد، يتألم، يصرخ ينادي، لكن علىٰ الأرجح لا أحد يسمعه؛ فهو دائمًا ما كان وحيدًا، منعزلًا لا يهتم لأحد، أصبح قلبي مـرهقًا ومكتئبًا، أشعـر بأنَّـه يتـآكل رويدًا رويدًا، هل من أحد يُرمِّمُ هذا التآكل؟! كرهت الوحدة وتحمُّل المسؤولية بمفردي، لم أعد أقدر أصبحت أشعر بأن ذاك الجبل الصَّامد أمام الجميع سوف تخور قـوَاه وينهار في لحظةٍ غير متوقعـة ويأليتهم يصمتون، بَل علىٰ العكسِ سوف يلومُونني من أجل ذلِك الانهيار، وفى النِّهـايـة أودُّ القـول: شُكرًا للجَميـع".

حبيبة عَـلاء|تالِين"

_بِئن مِن الخذلان.

كانوا حولِي جميعًا؛ ولكن يُؤسفني القَول أنَّ ذِكراهُم أصبحَت رمادًا تذروه الرياح،

أوَدُّ أن أسَألهُم لمَاذا خَذلتمُوني؟!

لِماذا الخُذلان؟ فلقد جعلَني الخُذلان بقَايا إنسانٍ يَتظاهرُ بأنَّـه علىٰ قَيد الحيَاة أصبحتُ أحدِّث نفسي لساعاتٍ؛ لأننِي الوحيدَة التِي أشعُر بنفسِي، وكل هَذا بسبب ما يُسمىٰ الخُذلان، أودُّ القول لهُم، أننِي بخَير، أخْتَنِق، أشعُر أن رُوحِي تتمَّزق، حقًا، أنا بخَير، دائمًا ما أصطَنع اللَّهو والضَّحك في الوقتِ الذي أكاد أنفجر فيه من البكاء، عند حُلول اللَّيل، أذهَب لغرفتي وأرتمِي علىٰ سَريري لأَروي لوسَادتي قصَّة ما قبلَ النَّوم وأُنهِيهَا ببكاء مرير، ومازلت أقاومُ وأقول: أنا بخَير.

حبيبة عَلاء|تالِين".

_لقَد هُزِمـت.

"رُبما ما زلت صَغيرة؛ لكن انحنَىٰ ظهرِي مِن جُلِّ الهُموم والشدائِد التِي تحاوطنِي، لم أجِد لذاتِي مقعدًا يسعُني ويُريحنِي، وكأنَّني وحيدةً في صحراءٍ جرداء، مُحطمة، مُنكسرة، أجدُ روحِي تقاومُ الهزيمَة والانكسار محاولةً العودةَ لجسدِي؛ لكن لم يعُد بباطنِي جُزءًا يمتلُك القدرة علىٰ تحمُّلِ الديجُور القادم نحوه، بتُّ أشعُر بثقل جسدِي، لمْ أعُد اقدرُ علىٰ الحَراك، تحطَّمتُ وتحطَّم كيانِي من غوّر الألم، عشقتُ اللونَ الأسودَ فتلوَّنت حياتِي به، فـ الآن بوسعِي القولُ: لقد هُزمـت".

حبيبة عَـلاء |تالِين.

_مِن هُنا تحديدًا تبدأ حُريتنا.

" تكُون حرًّا عندمَا تعلم متىٰ تَتحدَّث، ومتىٰ تَصمُت هكذا تَبدأ حُريتك، تكُون حرّ ًا عندمَا تحترمُ آراءِ الآخرين مهما اختلفتُم هكذا تكونُ حرًّا حقًّا؛ فحريَّتك تنتهي عندمَا تبدأ حريَّة الآخرين، أن تكُون حرًّا ليس مُجرد التَّخلص من القيُود بل أن تعيشَ بطريقة تُعزّز حريَّة الآخرين، فكَما تفعل يفعلوا؛ لكن احذرها فهي سلاحٌ ذو حدين، فكَم من الجرائِم ارتكب باسمهَا، فإن أخطأت في التعامُل معها جعلتك سجينَ الكراهية والتحيز وضيق الأفُق، وجُملة القول: هي أن نرغب بأن نكُون مسؤولين عن أنفُسنا وأفعالنا فمِن هُنا تحديدًا تَبدأ حُريَّتَنَا".

حبيبة عَلاء |تالِين.

_اندفاع كالسيل.

"لا تخف من المسافةِ بينَ الحلم والحقيقَة فما دُمتَ تستطيع أن تحلم بِـ شيءٍ فباستطاعتِك تحقيقهُ، لا تستهن بـأي خطـوة مهما كَانت صَغيرة، فَالقلـيل إلى القليل الكَثيـر وإنَّمـا السَّيل اجتمـاعُ قطـراتِ المطـر، فـلا شيء يشبـهُ الصباحَ إلا وهـجُ إنجازاتك، وسـمو والمساحة المُمتدة كل يوم بالأثر الجميل منـكَ."

حبيبة عَـلاء|تالِين".

_شتاء مؤلم يتوسطه آخر مريح".

نجلسُ جميعًا حول بعضنَا، أمامَ المدفئـة وسطَ أجواءٍ عائِلية يسُودهَا الحبُّ والطمأنِينة، إلا انَا أنكمِش حول نفسي وأفكر، أفكر مرارًا وتكرارًا في مستقبلي من الآن، ليسَ مستقبلِي فحسب، وإنمَّا كل خطوة أخطوها في حياتِي، لقد أرهقنِي التفكير، حمَّلتُ نفسِي فوق طاقتِها ولم أعد اتحمَّل، دائمًا ما أجِدُ نفسِي أغوصُ في دوامَاتٍ تعلقُ برأسي ولا تستطيع مغادرتهَا، لقد قررت، من الآن فَصاعدًا لن أُرهق نفسي ما دامَ كل شيء بيدِ اللهِ، وأن أقضِـي حياتِي متيقنةً أن الله لن يُضيِّعني وسيجبُر بخاطِري.

والآن أستطِيعُ قضَاء شتاء مريح مع أحبابي.

حبيبة عَلاء|تالِين".

_ماذا لو لم نلتقِي.

لو لَم نلتقِي لمَا عرفتُ كيفَ يكرهُ المرءُ من يُحب، وكيف لقصةِ حبٍّ دامَت سنينَ عدةً أن تُهتدم بسهُولة، وكأنَّها بُنيَت البارحَة، لو أننا لم نلتقِي لمَا عرفتُ من أنَا، لمَا عرفتُ حقيقتِي، ضعيفة، هشَّة، لقد أهلكَني حُبك وجعل قوايَ تخُور، لو أننا لم نلتقِي لمَا أصبحتُ حزينةً وغارقةً في قاعِ بحرٍ بل والأسواء مُحيط ولا أعرفُ السباحَة، كُنت في السَّابق لا أعلم ما هي القسوَة، البُغض، الضعف، وقلَّة الحيلة، كان مكتُوبًا في أقدَارنا اللقَاء، وما كان بإمَكاننَا الهرب منهُ، كان أسوأ لقاءٍ لكن عهدًا عليَّ سأكمِلُ حياتي وكأننا لم نلتقِي".

حبيبة عَلاء|تالِين".

كـانت تلك حـروف الـكـاتبة:

حـبيـبـة عـلاء || تـالِـين ||

بين ثنايا الرُّوح

"بين ثنايا الرُّوح تجدُ أحرفي، تعبِّر عن كلانا، تعبِّر عن الألم المُضمر في جوف كل منَّا، تعبِّر عن الخوف المُهيمن علىٰ أفئدتنا، المُسيطر علىٰ أفعالنا، وأقوالنا، بين ثنايا الرُّوح تجدُ بعضًا مِن أحرفي، تنفض عنك غبار الألم، وتمهِّد لك طريق الأمل، بين ثنايا الرُّوح، ذاتان لِوجدان واحد، ذات تثبِّط مِن عزيمتك، والأخرىٰ تُوافي مسيرك، وتقوِّي مِن عزيمتك، الأمر مُهلك بعض الشيء؛ فكل منهما تود اعتلاء العرش، والبقاء للأقوىٰ يا عزيزي".

حبيبة عَلاءاتالِين".

حسن شعبان"آدم".

نسمة محمود "أقلامي مكسورة".

Des: Salwa Abd El- Moneim